خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٥/٨/٢٩

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين

أذكر اليوم مزيدًا من التفاصيل حول غزوة حُنين.

قبل الخروج من مكة، عيّن النبي ﷺ عَتَّابَ بْنَ أَسِيدٍ أميرًا على مكة، وهو أول أمير عُيّنَ على مكة، وكان عمره آنذاك عشرين عاما. وكُلّف مُعاذُ بنُ جَبَل بتعليم أهل مكة أمور الدين.

والتعريف بعتاب بن أسيد كما يلي:

اسم أبيه أَسِيد بن أبي العيص بن أمية، وكان هو وأبوه من أبرز شخصيات قريش ومن أشد معارضي الإسلام. كانت والدته تدعى زينب. مات أبوه قبل فتح مكة. كان عتاب معروفًا بكراهيته الشديدة للإسلام، حتى إنه عند سماع أذان بلال رضي الله عنه في الكعبة يوم فتح مكة قال: أكرم الله أبي إذ قبضه قبل أن يسمع هذا الأذان.

على أية حال، لقد أسلم عتاب بعد ذلك يوم فتح مكة.

رأى النبي ﷺ في المنام والده أَسِيدَ بنَ أبي العيص مسلمًا وعاملا على مكة مع أنه مات على الكفر، وتحققت رؤيا النبي ﷺ بتولّي عتابٍ إمارةَ مكة.

وفي رواية أن النبي ﷺ رأى في المنام عتّابًا يقرع باب الجنة بقوة حتى فُتِح له ودَخَل.

وروي أن النبي ﷺ قال بأنني رأيت أسيدا –والدَ عتّاب الذي مات على كفره– في الجنة وتساءلت كيف يدخل أسيد الجنة، فعُرِض له عتاب بن أسيد يوم الفتح فقال ﷺ هذا الذي رأيته في الجنة، ادعوه لي، فدُعي له، فاستعمله يومئذ على مكة، ثم قال: يا عتاب أتدري على مَن استعملتُك؟ استعملتُك على أهل الله، فاستوصِ بهم خيرًا.

ظل عتاب عاملا على مكة حتى وفاة النبي ﷺ. وقد وردت روايات مختلفة عن وفاته: قيل إنه كان عاملا على مكة في عهد أبي بكر أيضا وتوفي في نفس يوم وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وقيل إنه عاش حتى خلافة عمر بن الخطاب ﷺ.

لقد ورد عن الخروج من مكة إلى حنين أن النبي ﷺ خرج لغزوة حنين يوم السبت في السادس من شوال، ووصل إلى حنين في العاشر من شوال. يرى ابن كثير أن الخروج كان في الخامس من شوال.

عندما خرج رسول الله ﷺ إلى حنين، كانت معه زوجتاه أم سلمة وزينب رضي الله عنهما. ورد في بعض الروايات أن أم سلمة وميمونة رضي الله عنهما كانتا معه، لكن الروايات المعتمدة تؤكد أن أم سلمة وزينب رضي الله عنهما كانتا معه.

ورد عن عدد المسلمين أن عدد الجيش الإسلامي في غزوة حنين كان أقل من عدد المشركين، لكنه كان أكبر جيش إسلامي في الغزوات السابقة كلها حتى ذلك الوقت ليس من حيث العدد فقط بل من حيث التسليح أيضا.

ذكر أصحاب المغازي أن رسول الله ﷺ خرج مع اثني عشر ألف مسلم، حيث كان عشرة آلاف من الصحابة من الذين جاءوا معه من المدينة لفتح مكة، وانضم إليه ﷺ ألفان من أهل مكة.

وردت روايات أخرى تذكر أن عددهم كان أربعة عشر ألفًا، لكن الروايات الأكثر شيوعًا تذكر اثني عشر ألفًا. والذين يذكرون أربعة عشر ألفًا يعتقدون أن عدد الصحابة القادمين من المدينة كان اثني عشر ألفًا بدلاً من عشرة آلاف، أما الذين انضموا من أهل مكة فكان عددهم ألفين كما ذكر.

في طريق حُنين، كانت هناك شجرة سِدر كبيرة جدًّا تُسمى "ذات أنواط". كان المشركون يحترمونها كثيرًا، وكانوا يعلقون أسلحتهم عليها كفأل للنصر، كما كانوا يعتكفون عندها ويظهرون لها الكثير من التبجيل والتوقير.

لما مرت القافلة قرب هذه الشجرة قَال بعض المسلمين الجدد يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الله أكبر! قلتم كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وهذا الذي تفعلونه.

كما ذُكر سابقًا، انضم إلى غزوة حنين ألفا شاب من المسلمين الجدد لم يترسخ الإيمان في قلوبهم بعد، ولم يكن لديهم مهارة حربية كبيرة، ولم يهتموا كثيرًا بتجهيز الأسلحة. وكان هؤلاء هم السبب في حدوث الفوضى في حنين، مما تسبب في ارتباك مؤقت وتراجع للمسلمين. كذلك، خرج من مكة بعض الأشخاص مع النبي ﷺ، ولم يكونوا مسلمين، منهم فرسان ورجَّالة، بل وحتى نساء، ولقد انضموا فقط ليروا نتيجة المعركة. كان هدفهم أن يحصلوا على الغنائم إذا انتصر المسلمون، دون أن يهتموا بما قد يصيب النبي ﷺ أو الصحابة رضوان الله عليهم من أذى أو مشقة. ولقد انضم جزء من هؤلاء كمتفرجين فقط، وكان من بينهم بعض المشركين الذين رافقوا الجيش وهم على شركهم.

يُذكر أن عدد هؤلاء المشركين كان حوالي ٨٠ شخصًا. لذلك، أشار بعض كُتّاب السيرة إلى أن هذه

كانت أول معركة يستعين فيها النبي ﷺ بالمشركين، مع أن النبي ﷺ كان يرفض سابقًا انضمام أي مشرك إلى القتال، حيث كان يقول: "إِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ". لكنه في غزوة حنين، سمح لأول مرة بانضمام المشركين إلى الجيش.

لكن الحقيقة أن النبي ﷺ لم يستعن بهم. كان النبي ﷺ قد رفض الاستعانة بالمشركين في غزوة بدر رغم الحاجة الشديدة في تلك المعركة إلى كل فرد وأهميته، فكيف احتاج إلى حفنة من المشركين رغم كثرة المسلمين لدرجة ذكرها القرآن الكريم أن كثرتهم أوقعتهم في العُجب. وعليه فإن النبي ﷺ لم يستعن بأي مشرك في المعركة ولم يطلب من أي مشرك الانضمام إلى الجيش. بل توضح تفاصيل كتب السيرة أن عددًا من أهل مكة انضموا إلى الجيش من تلقاء أنفسهم رغبة في مشاهدة المعركة أو طمعًا في الغنائم. كانوا يعتقدون أن النصر سيكون حليف المسلمين، فانضموا ليستمتعوا بالمشاهدة وليحصلوا على الغنائم. وكان من بينهم مشركون انضموا بنيَّة سيئة، حيث كانوا لا يزالون يحملون مرارة هزيمتهم في فتح مكة، ولقد حاولوا في مكة قتل النبي ﷺ بطرق فاشلة، فجاؤوا إلى حنين آملين أن يجدوا فرصة للانتقام والقضاء عليه إذا لم يتمكن منه العدو، فيتمكنوا — والعياذ بالله – من قتل النبي ﷺ ويشفوا ما في صدورهم.

على أية حال، خرج من مكة جيشُ المسلمين، البالغُ عددُه اثني عشر ألف مقاتل، وبعد سفر استمر ثلاثة أيام — أو خمسة أيام حسب بعض الروايات— وصل إلى وادي حنين. وفي الطريق، كان أبو سفيان بن حرب ينادي النبي ﷺ كلما سقط درع أو سيف أو أي متاع للصحابة، قائلاً: "دَعْني أحمل هذا المتاع"، فكان يجمعه حتى صار حِمْلَ بعيره.

قال سَهْلُ ابْنُ الْحَنْظَلِيَّةِ إنَّ الناس سَاروا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْن سيرا طويلا حَتَّى كَانَتْ عَشِيَّةً، فَحَضَرْتُ الصَّلَاةَ مع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ فَارِسٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إنِّي انْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ حَتَّى طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِنَ عَلَى بَكْرَةِ آبَائِهِمْ بِظُعُنِهِمْ (أي نسائهم) وَنَعَمِهِمْ وَشَائِهِمْ اجْتَمَعُوا إلَى حُنَيْنٍ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إنْ شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ قَالَ ﷺ: مَنْ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَةَ؟ قَالَ أَنَسُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيُّ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَارْكَبْ. فَرَكِبَ فَرَسه ثمَ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَقْبِلْ هَذَا الشِّعْبَ حَتَّى تَكُونَ فِي أَعْلَاه وَلَا نُغَرَّنَّ مِنْ قِبَلِكَ اللَّيْلَةَ (لم يرسله النبي ﷺ لحراسته هو بل لحراسة تلك المنطقة المحيطة بالمسلمين ولاستطلاع أخبارها، وقال له لا تكن غافلا من العدو حتى لا يخدعنا. يقول الراوي) فَلَمَّا أَصْبَحْنَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلَى مُصَلَّاهُ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ قبل الفجر، ثم أقيم للصلاة وبدأ النبي ﷺ يصلي بالناس، ووجهه إلَى الشِّعْبِ، حَتَّى إذَا قَضَى صَلَاتَهُ وَسَلَّمَ قَالَ أَبْشِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ فَارِسُكُمْ، (أي جاء الرجل الذي أمره النبي ﷺ بالحراسة). فَجَعَلْنَا نَنْظُرُ إلَى خِلَالِ الشَّجَرِ فِي الشِّعْبِ فَإِذَا هُوَ قَدْ جَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ فَقَالَ إنِّي انْطَلَقْتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلَى هَذَا الشِّعْبِ حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ اطَّلَعْتُ الشِّعْبَيْنِ كِلَيْهِمَا فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ

أَحَدًا. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَلْ نَزَلْتَ اللَّيْلَةَ؟ قَالَ لَا إِلَّا مُصَلِّيًا أَوْ قَاضِيًا حَاجَةً. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَدْ أَوْجَبْتَ (أي قد أحسنت خدمة الحراسة وقد وجبت لك الجنّة).

ونجد هناك ذكر جواسيس المشركين، وبيانه أن رسول الله ﷺ وصل إلى حنين يوم الثلاثاء في العاشر من شوال وقت صلاة العشاء. وكان مالك بن عوف قد بعث ثلاثة نفر من هوازن عيوناً وأمرهم أن يتفرقوا في عسكر المسلمين ويستطلعوا أخبارهم، ويخبروه بها مفصلةً. ولكنهم لما رجعوا إليه كانوا مذعورين مذهولين جدا. فقال لهم مالك: "ويلكم، ما شأنكم؟" قالوا: "رأينا رجالاً بِيضًا على خيلٍ بُلْقٍ[1]، والله لو وقع القتال فلن نتمكن من السيطرة على الوضع، والله، لا نستطيع أن نقاتل أهلَ الأرض، فكيف نقاتل أهل السماء، وإنْ أطعتَنا رجعتَ بقومك، فإن الناس إن رأوا مثل الذي رأينا أصابهم مثل ما أصابنا". فقال: "أُفٍّ لكم، أنتم أجبَنُ أهلِ العسكر!" فحَبَسَهم عنده مخافة أن يشيع ذلك الرعب في عسكره كله، وقال: "دُلُّوني على رجل شجاع".

فأجمعوا له على رجل، فخرج الرجل، فأرسله مالك، ولكنه رجع إليه سريعا قد أصابه من الخوف نحو ما أصاب مَن قبله منهم. فقال له مالك: "ماذا رأيتَ؟" قال الرجل الشجاع: "لقد رأيتُ رجالاً بيضًا على خيلٍ بُلْقٍ ما يُطاق النظرُ إليهم. والله، ما تماسكتُ أنْ أصابني ما ترى، لقد أصابني رعب لا أستطيع التغلب عليه، ومن الأفضل أن نرجع من هنا!" ولكن هذا لم يَثْنِ مالكًا عن وجهه.

بحسب أصحاب السيرة يمكن تفسير ما ذكره الجواسيس عما رأوا على وجهين. ترى فئة منهم أن يكون هؤلاء الجواسيس قد رأوا الملائكة، فأصابهم من هيبتهم ما أصابهم، بينما ترى فئة أخرى أنهم لما شاهدوا جيش المسلمين ألقى الله في قلوبهم الرعب فخافوا خوفا شديدا.

عن أَبِي سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَوَازِنَ، فجَاء رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رجلٌ على جملٍ أَحْمَرَ عند الضحى، ونحن نأكل الطعام معه ﷺ، فَأَنَاخَ جمله، فَقَيَّدَه بحبلٍ ثُمَّ تَقَدَّمَ يَتَغَدَّى مَعَ الصحابة، وفي رواية أنه جعل يتحدث معنا. وكنا مرهقين، وكانت عندنا رواحل قليلة، فخَرَجَ يَشْتَدُّ إلى جَمَله، فَأَطْلَقَ

[1] البُلق : جمع أبلق وهو الذي فيه سواد وبياض

قَيْدَهُ وَركبه فَأَثَارَهُ فَاشْتَدَّ بِهِ الْجَمَلُ. فرآه النبي ﷺ فقال إن هذا جاسوس، فخذوا واقتلوه. فَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ مِن بني أسلمَ عَلَى نَاقَةٍ. قَالَ سَلَمَةُ رضي الله عنه: خَرَجْتُ أَشْتَدُّ وراء الجاسوس على ناقتي، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ حَتَّى أَخَذْتُ بِخِطَامِ جَمَلِه، فَأَنَخْتُهُ، فَلَمَّا وَضَعَ رُكْبَتَهُ فِي الْأَرْضِ اخْتَرَطْتُ سَيْفِي فَضَرَبْتُ رَأْسَه، فسقط، ثُمَّ أخذت جمله ورَحْلهُ وَسِلَاحه وجئت رَسُول اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ للناس مَنْ قَتَلَ هذا الرَّجُلَ ؟قَالُوا: ابْنُ الْأَكْوَعِ. فقَالَ ﷺ: فلَهُ سَلَبُهُ أَجْمَعُ.

كان عدد المسلمين اثني عشر ألفًا، بينما بلغ عدد جيش العدو ثلاثين ألفًا. هناك روايات تذكر أن عدد العدو في غزوة حنين كان ثلاثين ألفًا، وروايات تذكر أنه كان عشرين ألفًا، وأخرى تذكر أنه كان أربعة آلاف. وهذا الاختلاف راجع إلى أن عدد مقاتِليهم كان عشرين ألفًا، وإذا أُضيف إليهم نساؤهم وأطفالهم صار العدد الإجمالي ثلاثين ألفًا. ثم كان مالك بن عوف قد أخفى نخبةً من أفضل رماته في الكمائن في الجبال، وهم الذين هاجموا المسلمين فجأة دفعة واحدة، مما تسبب في حالة من الاضطراب والفوضى في صفوف المسلمين، وكان هؤلاء الرماة أربعة آلاف.

وكان مالك بن عوف، قائد بني هوازن، قد قام بتنظيم صفوف جيشه على النحو التالي: عندما انقضى ثلثا الليل، ذهب مالك بن عوف إلى جيشه فأخفاهم في كمائن في وادي حنين الذي يتميز بوجود العديد من الشعاب والممرات، ليهاجموا رسول الله ﷺ وأصحابه فجأة ودفعة واحدة. وكانت صفوف الكفار مرتبة على النحو التالي: كان في المقدمة الفرسانُ على خيولهم، وخلفهم الرجَّالة (المشاة)، ثم خلفهم النساءُ والأطفال على الإبل، وفي المؤخرة الإبلُ والأغنام والماعز وسائر المواشي.

عند المسير من مكة إلى حنين أرسل النبي ﷺ طليعة الجيش من ألف مقاتل من فرسان بني سُلَيم تحت قيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه. وعندما وصل الجيش المسلم إلى الجِعْرانة عند السحر، قَسَّمه النبي ﷺ إلى ثلاثة أقسام: الميمنة (الجناح الأيمن)، والميسرة (الجناح الأيسر)، والقلب (الوسط). وكان ﷺ في القلب. وقد وزّع رايات على المهاجرين والأنصار.

فقد سلّم النبي ﷺ راية من رايات المهاجرين لسيدنا علي، وراية أخرى لسيدنا سعد بن أبي وقاص، وراية ثالثة لسيدنا عمر الفاروق. أما من الأنصار، فقد سلم راية الخزرج لسيدنا حُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، وراية الأوس لسيدنا أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْر. كذلك، أعطيَ سيدنا أَبا بُرْدَةِ بْنِ نِيَارٍ ، وسيدنا أَبا لُبَابَةِ بن الْمُنْذِر ، وسيدنا قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَان راياتٍ. وإلى جانب ذلك، وزّع النبي ﷺ أكثر من عشرين لواء على مجموعات شتى.

يوم حنين، قال أحدهم: "لن نُغلب اليوم من قلة"، أي: إننا اليوم كثيرون. لكن رسول الله ﷺ كره هذه المقولة كرهًا شديدًا. وقد ذكر القرآن الكريم أيضا هذا القول باستنكار، حيث ورد: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ أي قد دفعتكم الكثرة إلى التكبر. في معركة حنين أحرز المسلمون انتصارا أولا، ثم تشتتوا بسبب الهجوم القوي كما ذُكر سابقا وانهزم المسلمون مؤقتا، لكنهم في نهاية المطاف أحرزوا فتحا عظيما. وتفصيل

ذلك أنه يقال عند ذكر غزوة حنين عادة أن جيش المسلمين دخل وادي حنين في الظلام قبل حلول الصباح، بينما كان جيش الكفار قد وصل إلى الوادي مسبقًا، وكان رماتهم المهرة مختبئين في الشعاب. وعندما دخل المسلمون الوادي دون علمهم بوجود هؤلاء، هاجمهم الرماة هجومًا مفاجئًا دفعة واحدة، وتسبب ذلك في اضطراب في صفوف الجيش الإسلامي، فبدأوا يفرون، حتى لم يبقَ في الميدان سوى النبي ﷺ وبضعة نفر من أصحابه. ثم حين صدر منه ﷺ نداء متكرر عاد الجيش الإسلامي وحصلت معركة قوية بينهم وبين العدو، ومُني العدو بهزيمة نكراء، فتركوا الميدان وهربوا. هذا قد ورد في سيرة ابن هشام. لكننا حين نقرأ رواية في صحيح البخارى تتبين لنا تفاصيل مختلفة لمعركة حنين. فرواية سيدنا الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ الذي كان شريكا في المعركة، وردت في صحيح البخاري في عدة مواضع، ذكر فيها البراء رضي الله عنه:

لَمَّا حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ انْكَشَفُوا فَأَكْبَبْنَا عَلَى الْغَنَائِمِ فَرشقونا بِالسِّهَامِ وَاللَّهِ مَا وَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَكِنَّهُ خَرَج شُبَّانُ أَصْحَابِهِ وَأَخِفَّاؤُهُمْ[٢] حُسَّرًا[٣] لَيْسَ بِسِلَاحٍ وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ آخِذٌ بِزِمَامِهَا وَهُوَ يَقُولُ: أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أنا ابن عبد المطّلبْ.

إذا استثنينا رواية البخاري، فإن معركة حنين تُقسم عادة إلى مرحلتين كما يذكر أغلب مؤرخي السيرة:

المرحلة الأولى: تشتت المسلمين نتيجة الهجوم المفاجئ.

---

[٢] أخفاؤهم : جمع خف بمعنى الخفيف ، وهم الذين ليس معهم ما يثقلهم من سلاح أو غيره،

[٣] الحسر : جمع حاسر وهو الذي لا درع له ولا مغفر

المرحلة الثانية: تجمُّع المسلمين من جديد وهجومهم على العدو وهزيمته.

لكننا إذا أسسنا على رواية البخاري وهي تبدو أكثر صوابا، فإن معركة حنين تُقسم إلى ثلاث مراحل: ففي المرحلة الأولى دخل جيش المسلمين وادي حنين دون تردد، فتراجع جيش العدو الذي كان أمامهم باستمرار. وعندما رأى المسلمون تراجُع العدو، انشغل جزء منهم في جمع الغنائم. في المرحلة الثانية حين رأى أربعة آلاف من أفضل رماة مالك بن عوف، قائدِ بني هوازن، الذين كان قد أخفاهم في شعاب الوادي، دخولَ جيش المسلمين إلى الوادي، شنوا هجومًا مفاجئًا بالسهام. ولما كانت بنو هوازن من أمهر الرماة العرب، وكان الوقت في الظلام قبل الصباح الباكر، وجزء من المسلمين منشغل بجمع الغنائم – ومن بينهم عدد من المسلمين الجدد من مكة ممن لم يترسخ الإيمان في قلوبهم بعدُ، ولم يكن لديهم دروع أو أسلحة واقية تكفي لحمايتهم من السهام – فقد بدأ هؤلاء بالفرار للنجاة من الهجوم المفاجئ. وبما أن الكثيرين كانوا على ظهور الدواب وعندما بدأوا بالفرار المفاجئ إلى الخلف، حدثت بلبلة وفوضى عارمة في الجيش وبدأت الخيول والجمال تنفر وتتحرك بسرعة في الوادي الضيق، مما تسبب في تدافع الدواب فداست بعضَ الأشخاص تحت أقدامها. ونتيجة لهذه الفوضى، سقط سيدنا خالد بن الوليد عن جواده جريحا، وتشتت جيش المسلمين. فهذا أيضا قد ورد في أحد كتب السيرة. أما المرحلة الثالثة الحاسمة فتفصيلها في رواية سيدنا

أنس بن مالك حيث قال أولا زلَّت أقدام مقدمة الجيش، حيث فرت أولا كتيبة بني سليم، وتبعهم المسلمون الجدد من مكة، ثم تبعهم العامة منهزمين، لا يلوون على شئ وارتفع النقعُ، فما منا أحد يبصر كفه.

من أبرز ما يُذكر عن جميع الحروب التي خاضها النبي ﷺ أن ثباته وشجاعته في ميدان المعركة لا مثيل لهما، مهما كانت الظروف. ففي اللحظات التي كان فيها حتى كبار الأبطال يتراجعون وتتزلزل أقدامهم، كان النبي ﷺ يثبت في مكانه كالصخرة العاتية. وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان أجمل الناس وأكرمهم وأجودهم، وكان أشجع الناس جميعًا.

يقول سيدنا البراء بن عازب عن معركة حنين: عندما تفرق الجميع وبقي النبي ﷺ مع عدد قليل من أصحابه، وبدأ العدو يتقدم نحوه، ظل يتقدم النبي ﷺ وحده نحوه وهو يقول بصوت عالٍ: "أنا ابن عبد المطلب". يقول الراوي: والله، كنا عندما تشتد المعركة نلجأ إلى رسول الله ﷺ، وكان الأقرب إليه يُعد أشجَع الناس. وفي هذه المناسبة، كانت شجاعة النبي ﷺ وبسالته على هذا النحو، أنه حين بقي وحده، بدأ يدفع بغلته نحو العدو.

يقول سيدنا عباس لَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ لحظة واحدة، وحين تفرق الناس بدأ يتقدم النبي ﷺ على بغلته إلى الأمام بسرعة، فأردت أن أمسك بِلِجَامِ بَغْلَتِه لأَكُفُّهَا حتى لَا تُسْرِعَ وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِها. وفي رواية أن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه أيضا كان مع حضرته ساعتئذ وحاول إيقاف البغلة بأخذ لجامها، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيْ عَبَّاسُ نَادِ أَصْحَابَ الشجرة أي الذين

كانوا بايعوه ﷺ في الحديبية أنهم سيضحون بأرواحهم، فَقَالَ عَبَّاسٌ وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا فَقَالُوا يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ فعادوا كالمجانين فقاتلوا العدو. هذه رواية صحيح مسلم.

يذكر أنه عندما تفرق جيش المسلمين، كان لدى النبي ﷺ بضعة أشخاص يتراوح عددهم بين أربع مئة إلى ثلاث مئة.

وقد يكون سبب هذا الاختلاف في العدد راجعا إلى أن عددا قليلا منهم كانوا بالقرب من النبي ﷺ بينما كان آخرون يقاتلون العدو في مواطن مختلفة، وبالتالي كان هناك حوالي ثلاثمائة مقاتل في ساحة المعركة، أو أن عدد الأشخاص حول النبي ﷺ كان يختلف من وقت إلى آخر. فمن رأى ثلاثة أو أربعة أشخاص ذكر ذلك العدد، ومن رأى عشرة أو اثني عشر شخصا ذكر ذلك العدد، ومن رأى أكثر من ذلك ذكر العدد الذي رآه. على أية حال، في وقت من الأوقات لم يبق معه ﷺ إلا بضعة رجال فقط.

وفي رواية: قَالَ رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ: يَا أَبَا عُمَارَةَ أَفَرَرْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا وَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَكِنَّهُ خَرَجَ شُبَّانُ أَصْحَابِهِ وَأَخِفَّاؤُهُمْ حُسَّرًا لَيْسَ عَلَيْهِمْ سِلَاحٌ أَوْ كَثِيرُ سِلَاحٍ فَلَقُوا قَوْمًا رُمَاةً لَا يَكَادُ يَسْقُطُ لَهُمْ سَهْمٌ، جَمْعَ هَوَازِنَ وَبَنِي نَصْرٍ، فَرَشَقُوهُمْ رَشْقًا مَا يَكَادُونَ يُخْطِئُونَ فَأَقْبَلُوا هُنَاكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَقُودُ بِهِ، فَنَزَلَ فَاسْتَنْصَرَ وَقَالَ: أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ.

وورد في رواية عن إياس بن سلمة عن أبيه قال:

غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُنَيْنًا، فَلَمَّا وَاجَهْنَا الْعَدُوَّ تَقَدَّمْتُ فَأَعْلُو ثَنِيَّةً فَاسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ مِنَ الْعَدُوِّ فَأَرْمِيهِ بِسَهْمٍ فَتَوَارَى عَنِّي. فَمَا دَرَيْتُ مَا صَنَعَ وَنَظَرْتُ إِلَى الْقَوْمِ فَإِذَا هُمْ قَدْ طَلَعُوا مِنْ ثَنِيَّةٍ أُخْرَى فَالْتَقَوْا هُمْ وَصَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ فَوَلَّى صَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَرْجِعُ مُنْهَزِمًا وَعَلَيَّ بُرْدَتَانِ مُتَّزِرًا بِإِحْدَاهُمَا مُرْتَدِيًا بِالْأُخْرَى فَاسْتَطْلَقَ إِزَارِي فَجَمَعْتُهُمَا جَمِيعًا وَمَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُنْهَزِمًا وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الشَّهْبَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ رَأَى ابْنُ الْأَكْوَعِ فَزَعًا. (أي لماذا تعدو إلى الوراء في هذه الحالة)

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ في بيان حادث تقهقر الناس بعد الإصابة بالسهام يوم حنين:

"تراجع جيش المسلمين في غزوة حنين لأن هجوم سهام العدو كان قد اشتد كثيرا، فتقدم النبي ﷺ نحو العدو مع عدد قليل من الصحابة فقط. فلما رأى أبو بكر ﷺ شدة هجوم العدو، أراد أن يمنع النبي ﷺ، فتقدم ﷺ وأمسك بلجام فرس النبي ﷺ. لكنه ﷺ قال: اترك لجام فرسي. ثم تقدم منشدا بيتا: أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

أي: أنا نبي الله الصادق ولست كاذبًا، وأنا ابن عبد المطلب. كان قوله ﷺ 'أنا ابن عبد المطلب' يعني أن هجوم العدو في هذا الوقت شديد جدًا، حيث كان أربعة آلاف من رماة العدو يمطرونهم بوابل من

السهام. في هذه الحالة، قد يبدو تقدمي للأمام فوق طاقة البشر، فلا ينبغي لأحد أن ينخدع ويظن أنني أملك قوة إلهية. بل أنا ابن عبد المطلب، وبشر فقط، غير أن نصرة الله ﷻ تحالفني لأنني نبي.

يقول الإمام النووي في بيان عدم فرار جميع الناس: إن الجميع لم يهربوا، بل بدأ بالفرار المنافقون من المؤلَّفة قلوبهم في مكة، وآخرون من أهل مكة ممن انضموا إلى المعركة ولم يُسلموا بعد. وحدثت هذه الهزيمة المفاجئة لأن العدو قام بقصف متزامن بالسهام. (المنهاج شرح مسلم للإمام النووي، ص ١٣٧٤)

ما قاله الإمام النووي صحيح تماما إن الذين فروا من ساحة المعركة بسبب الخوف والذعر ما كانوا كلهم مسلمين. أي لم يهرب الجميع بل كان الهاربون من المسلمين الجدد فقط من مكة، وكان من بينهم من لم ينضم إلى المعركة بدافع القتال بإخلاص، بل طمعًا في الغنائم أو كالمتفرجين فقط. ولكن الحقيقة أن هروبهم بالإضافة إلى القصف المكثف بالسهام جعل دواب المسلمين الأخرى مذعورة، فجفلت هذه الدواب وفرت بالمسلمين الذين كانوا يركبونها. ولم يهرب عدد كبير منهم قصدا بل تقهقروا بسبب الدواب المذعورة مما جعل المسلمين المخلصين والأوفياء أيضا عاجزين لبعض الوقت".

لقد بدأت اليوم الجلسة السنوية للجماعة في ألمانيا. يجب على جميع المشاركين فيها أن يدعوا الله تعالى أن يوفقهم لتحقيق أهداف الجلسة، وألا يجتمعوا هناك معتبرين الجلسة مجرد مهرجان، بل يجب أن يعاهدوا الله تعالى في هذه الأيام على الاستمرار في التقدم في نموهم العلمي والعملي والروحي، وليسعوا لذلك، ويقضوا هذه الأيام في ذكر الله والدعاء بوجه خاص. فليدعوا لأنفسهم ولأجيالهم القادمة، وكذلك لتقدم الجماعة وللاحتماء بحماية الله تعالى من شر كل معارض ولإنهاء شرهم. حمانا الله تعالى جميعا من شرورهم.

تحدث في باكستان من حين لآخر أحداث مؤلمة. فندعو الله تعالى أن يبطش بهؤلاء المعارضين عاجلا. وادعوا أيضا لسلام العالم بوجه عام. إن العالم يقترب من الهلاك أكثر فأكثر بسبب أعمالهم. ندعو الله ﷻ أن يحمينا من هذا الدمار المخيف.

وادعوا لأهل فلسطين أيضاً، فقد بلغت الحكومة الإسرائيلية أقصى درجات الظلم والبربرية. يبدو أنهم يريدون محو الفلسطينيين من وجه الأرض كليا. لقد تجاوز الظلم بالأطفال والنساء والمسنين والمرضى الأبرياء المظلومين حدوده. هناك مجزرة عامة تحدث في كل مكان. وقد بدأ بعض رجال السياسة والحكومات يرفعون أصواتهم قائلين إن هذا خطأ، توقفوا عن هذا. لكن الحكومة الإسرائيلية غير مستعدة لتستمع لهم أيضا. إن نشوة الثروة والقوة قد وصلت بهم – أمريكا وحلفائها – إلى أقصى درجات الكبر والظلم. والحكومات المسلمة لا تحرك ساكنا. فإن لم تستطع فعلَ شيء فليغيروا على الأقل ما بأنفسهم ويخضعوا لله تعالى حتى يأتي الله ﷻ لنصرتهم. ليتهم يعقلون ويفطنون لهذا الأمر. وأضف إلى ذلك أن المسلمين يظلمون المسلمين. ندعو الله تعالى أن يمنعهم أيضا من هذا الظلم.

اليوم هذا واجبنا، نحن الأحمديين أن نرفع أصواتنا ضد كل هذه المظالم حيثما أمكن، وخاصة أن ندعو

بألم القلب. وفقنا الله تعالى لذلك.

*****